

أسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية عند

"فيشر"، وتجربة معجم اللغة الإنجليزية.

(دراسة تقابلية)

أ / يمينة مصطفى

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج. البويرة. الجزائر.

لعلّ الحديث عن المعجم التاريخي في العربية هو عبارة عن حديث عن مشروع للمعجم التاريخي، وليس عن معجم أو كتاب يضم ما يجب أن يتوفّر فيه ولعلّ أوّل محاولة يذكرها أغلب الباحثين والعلماء هي محاولة العالم الألماني "فيشر" الذي عمل ولم تسعفه الظروف ولا حياته على وضع معجم تاريخي كامل للغة العربية، وذلك في أحضان مجمع اللّغة العربية في القاهرة، لكن حلول الحرب العالمية الثانية، ثمّ ابتعاد فيشر عن القاهرة ووفاته بعد ذلك حال دون استكمال المشروع، وبقي أملاً يحدو المجمع يسعى إلى تحقيقه اعتماداً على خطة "فيشر" التي وضّح فيها أهمّ الميزات وسمات المعجم التاريخي للغة العربية، واكتفى بعدها بأن يسميه "المعجم الكبير" تاركاً للزمان استكمال الوسائل الضرورية لوضع المعجم التاريخي واستطاع عام 1956 أن ينشر منه جزءاً في نحو 500 صفحة¹. ولكن رغم عدم وجود هذا المعجم في الواقع اللّغوي العربي إلا أنني أثرت أن أعرض أهمّ خصائص بنائه عند فيشر وغيره ممن يدعون إليه، حيث أصبح اليوم ضرورة ملحة في حياة وتاريخ اللّغة العربية، وسنحاول استخراج هذه الخصائص من دراسات حول مقدمته لتبيين منهجه وخطته. ولعلّ أهمّ شيء ركّز عليه فيشر في تصوّر المعجم هو احتواؤه كلّ كلمات اللّغة العربية عبر تاريخها الطويل جدّاً، فحدد الزمن الذي يدور فيه البحث بقوله "فالمعجم يتناول قدر الإمكان بحث تاريخ الكلمات التي جاءت في الأدب العربية مبتدئاً بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة في القرن الرابع ميلادي (ق 4م) ومنتهاً بالعهد السابق ذكره (نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللّغة العربية الفصحى من كمال)². يقول: " يجب احتواء المعجم على كل كلمة وجدت في اللّغة بلا استثناء، وأن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية، الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحوية، البيانية والأسلوبية"³. وبالتالي فإنّ هذا المعجم سيضمّ كلّ كلمة وجدت في اللّغة العربية بلا استثناء بمعنى: الفصحى المولّد، الحوشي، المستنكر، الغريب، العامي، الدخيل المعرّب... وترصد هذه الكلمات منذ أوّل ظهور لها واستعمالها بداية من فترة نقوش النمارة (ق 4م) إلى القرن (3 هـ / 10م)، ولعلّ الفترة الأولى التي حدّدها

فيشر وهي ما قبل القرن الثالث الهجري، هي التي يصعب الإحاطة بها لما تحتاجه من بحوث تغوص في اللغة العربية القديمة، مع ما يستجد من نتائج أبحاث علماء التاريخ والكتابة، وتصعب أيضاً بعد فترة الاحتجاج اللغوي التي أقصت عدداً كبيراً من استعمالات اللغة، ملغية مبدأ التطور اللغوي رافضة المولد، وتصعب أكثر بكثير بعد نهاية مرحلة التأليف المعجمي القديم؛ لأنّ مرحلة التأليف المعجمي الحديث في عمومها لم تكن تسعى إلى تغطية اللغة المتداولة والمستعملة في هذا العصر بقدر ما كانت تحيي وتستند إلى لغة التأليف المعجمي القديم، فألغت هي الأخرى بذلك عدداً كبيراً من كلمات اللغة باعتباريات مختلفة... وإن كانت للمعجمات القديمة مبررات علمية مقبولة أساسها الحفاظ على اللغة من الضياع، وبخاصة وأنها كانت في مرحلة التأسيس للتأليف المعجمي وإن بلغت فيه مرحلة متطورة جداً. فإنّ المعجمات الحديثة لا مبرر لها سوى الخوف من اللغة وليس على اللغة، فلم يكن لها من سبيل تتبعه سوى التقليد. بالإضافة إلى تحديده للفترة الزمنية حدد فيشر أيضاً النواحي التي يجب أن تدرس في الكلمة وهي النواحي: التاريخية، الاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية والنحوية...

لقد شرح فيشر في مقدمته النقص الظاهر في المعجمات العربية السابقة الذي يرجى لأجله تأليف معجم جديد كبير، وراه يتركز في أنّ "المعجمات التي صنّفها العرب لم تجمع كل كلمات اللغة العربية، بل جمعت الفصيح منها فقط"⁴ وبالتالي فإنها أهملت مستويات اللغة المختلفة وركّزت على مستوى واحد منها وهو الفصيح. وهو يدعو في معجمه إلى أنّ "منتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجماً تاريخياً، ويجب أن يحتوي هذا المعجم التاريخي على كلّ كلمة تداولها الناس في اللغة، فإنّ جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها... وقد وضّح حسين نصار في كتابه ميدان بحث هذا المعجم ومادته ومصادره ومراجعته وشواهده وترتيبه وشروحه، وكلّها يتقارب فيها مع أغلب المعاجم اللغوية العامة، إلاّ أنّه يميّز في الشروح بالآتي: "يتبع الشرح العربي للكلمات شرح مختصر بالانجليزية وآخر بالفرنسية (...). إذ إنّ إيراد الكلمة بالانجليزية والفرنسية المقابلة غالباً ما يوضح المعنى ويحدّده أكثر مما لو كان الشرح قاصراً على العربية"⁵ وإنّ كان بعض العلماء يرفضون هذا باعتبار أنه ليس من قبيل المعاجم المتعددة اللغة. وبالتالي فإنّ المعجم التاريخي المنشود للغة العربية سيكون معجماً تأصيلياً وتاريخياً مقارناً في أنّ واحد، وهو بهذا التصوّر يحتاج إلى درجة عالية من التخصص في اللغة، وفي اللغات السامية واللغات غير السامية التي اتّصلت بها اللغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن، يضاف إلى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللغوية والدينية والعلمية منذ أقدم العصور العربية حتى اليوم"⁶، وهذا ما يفرض وجود مدونة لغوية

مجّعة إذ يقول عبد الرحمان الحاج صالح: "كيف يمكن يا ترى أن تستخرج مدلولات الألفاظ المختلفة عبر العصور إن لم يلجأ إلى هذه الذخيرة الآلية الحاسوبية وقد يستطيع الباحث إن قلّت النصوص في عصر من العصور كالجاهلية- مثلا- أن يفترض وجود بعض المدلولات لبعض الألفاظ في هذا العصر بفضل تحليلاته للسياقات القليلة التي ورد فيها، ولكن كيف يمكن أن يستدل على ذلك إذا عدّت النصوص بالملايين ابتداء من القرن الثاني الهجري وما بعده؟ وكيف يمكنه أن يستخرج هذه المدلولات من النصوص بدون أن تكون لديه وتحت تصرفه مجّعة مدوّنة محسوبة مندمجة؟⁷. ثم يضيف الدكتور الحاج صالح ما يدعّم المعجم ومواده قائلا: "ومهما كان الأمر فإنّه لا يتصور أن يوضع معجم في اللّغة بدون توثيق لما يتضمّنه من ألفاظ ودون أن يعرف من أين استقيت، فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم، أم هي مفردات وردت في الاستعمال بالفعل؟ وهذا ما قد حققه علماؤنا قديما وكانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد، فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية التي ينبنى عليها كل عمل وكل بحث علمي⁸، وبهذا يعطي للشواهد قيمتها الحقيقية في إثبات نسبة هذه الكلمة إلى اللّغة فهي الدليل على استعمالها وتداولها بين أهل اللّغة، لذا لا يمكن إهمالها، ولعلّ مشروع الذخيرة اللّغوية هو الحلّ الأمثل والمرجع الأول لتحقيق هذا الأمر في المعجم التاريخي. فمادة المعجم مستمدة من النصوص المختلفة الموجودة في المدوّنة اللّغوية التاريخية التي توضح بشواهدا المختلفة عبر العصور، مختلف المعاني والاستعمالات للألفاظ والعبارات وتتبع تطوّرها من مرحلة إلى أخرى وصولا إلى دلالاتها الحاضرة. ويقول المستشرق الألماني رينهاردت دوزي في مقدمة كتابه "المعجم المفصل في أسماء الملابس عند العرب" الصادر سنة 1845: "عندما أتحدّث عن معجم عربي فإنني أعني معجما يعرفنا بوضوح و دقة كلما طلبنا فيه المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله بمختلف الدلالات [المستحدثة] التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام والمغرب... إلخ (...). وهو معجم يرسم لنا بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادا مستمرا تاريخ كل لفظ وعبارة، ويميّز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والتي تفيدها في مصر آخر، بين مدلول كل لفظ عند الشعراء، ومدلوله عند الناثرين، ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيراً منهجياً، لكنني أعيد القول بأنّ الزمن الذي يمكننا فيه وضع مثل هذا المعجم لا يزال بعيداً، وفي انتظار أن يحين يمكننا التقدم بالتأليف المعجمي بثلاث طرق:

أولها هي كتابة حواشٍ معجمية شرحاً [لألفاظ] مصنّف ما، أو بتذييل نص ينشر محققاً لأحد المؤلفين بمسرد لغوي يكون مستدركا على المعجم (...). وهي الطريق المتبعة لحدّ الآن.

وثانيها هي جمع ألفاظ مجال بعينه.

وثالثها هي الاقتصار على تدوين لغة عصر بعينه أو مصر معين⁹

المعجم التاريخي للغة الإنجليزية:

اللغة الإنجليزية في بريطانيا: قبل الحديث عن معجم اللغة الإنجليزية أود الحديث عنها أولاً حتى نستطيع أن نعطي معجمها مكانته الحقيقية. اللغة الإنجليزية في الأصل هي اللغة المعروفة علمياً باسم أنجلوسكسون وفيها كما في كلّ اللغات الأخرى القدرة الذاتية على النمو من الداخل في إطار عملية إضافة اللواحق والبوداي لجذور الكلمات أو انضمام الجذور بعضها إلى بعض (...). وليست هذه القدرة الذاتية على النمو من الداخل هي السبب الوحيد الذي يكمن وراء نمو مفردات اللغة، فهناك عدد لا حصر له من الكلمات التي تدخل اللغة من جراء احتكاكها باللغات الأخرى وهناك أيضاً عمليات أخرى تعمل على إثراء مفردات اللغة ومنها عملية الخلق القياسي Analogical creation حيث تخلق كلمات قياساً على كلمات أخرى. وعملية التغيير الوظيفي، حيث تتغير الكلمات وظيفتها ونوعها من الكلام كأن تصبح الأسماء أفعالاً وهكذا. ويضاف أيضاً عملية التغيير الدلالي حيث تكتسب الكلمات معاني جديدة. وعالم اللغة الانجليزية ينقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية تختلف عن بعضها البعض من حيث الموقف اللغوي العاج، وخاصة فيما يتعلق بمقدار أوجه الاختلافات المحلية داخل حدود كلّ منها.

أولاً: هناك الوطن الأصلي: وهي الجزر البريطانية، حيث تستعمل اللغة الانجليزية في جميع أرجائها لأكثر من ألف وخمسمائة عام، على الرغم من وجود بعض اللغات الأخرى التي تستعملها جماعات تشغل الجزر البريطانية مع الانجليز وتتكلم لغاتها الأمّ في حياتها اليومية إلى جانب اللغة الانجليزية التي يتعلمها أفراد هذه الجماعات في المدارس، وهذه اللغات تنتمي إلى الأسرة الكلتية Celtic، ومن بين أعضائها الحديثة اللغة الايرلندية Irish، واللغة الويلزية Welsh، ويتكلمها أهل ويلز، واللغة الاسكتلندية، أما أعضاؤها الأخرى فأهمها لغة الغال Gaelic ويستعملها سكان المرتفعات الاسكتلندية High lands ولغة كورنول Camish.

ثانياً: المناطق التي استعمرها الانجليز في القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث حلت اللغة الانجليزية محل اللغات الأصلية واللغات الأوروبية الأخرى التي سبقتها إلى هذه المناطق.

ثالثاً: المناطق التي أصبحت فيها اللغة الانجليزية لغة الحكومة والتجارة ولكنها لم تحل محل اللغة الأم في الحياة اليومية، والهند خير مثال على ذلك. (...) وتوجد أيضاً البلدان الأفريقية مثل نيجيريا، وغانا وسيراليون وكينيا، وكلها مناطق متعددة اللغات واللهجات وتعتبر اللغة الإنجليزية بالنسبة لها اللغة المشتركة الوحيدة التي يستعملها المثقفون وأصحاب المهن وأفراد الطبقة الحاكمة كلغة ثانية¹⁰.

وبهذا العرض لنا أن نتصور الرصيد اللغوي الذي يمكن أن يدخل في معجمة اللغة الانجليزية البريطانية. مع العلم انه توجد لغة انجليزية أمريكية وإن كان الإختلاف بينهما ليس كبيراً جداً. لم تكن اللغة الانجليزية القديمة old english التي يطلق عليها بعض مؤرخي اللغة الاسم " انجلو ساكسون Anglo saxon " تمثل ما هي عليه الآن من ثراء تباهي به اللغات الحية الأخرى، وتؤكد (...) نظرة تاريخية تلقى إلى الوراء على لغة فقيرة مثل اللغة الانجليزية القديمة التي نمت وتطورت وأصبحت الآن عشرة أمثال ما كانت عليه من ألف سنة، بعد أن استوعبت منذ الفتح النورماندي في سنة 1066م تسعمائة الف كلمة أو ما يزيد بعضها حل محل كلمات أخرى ماتت، وبعضها كلمات مشتركة، ويستعملها الأفراد في تصريف أمورهم الحياتية، وأخرى توجد بين قوائم الكلمات العلمية التي تزداد يوماً بعد يوم لتلاحق التطورات العلمية و التكنولوجيا التي لا تقف تسفر مع شروق كل شمس عن جديد ومما لا شك فيه أنه ليس لدائرة أي لغة حدود فاصلة تنتهي اللغة عندها¹¹.

وتعتبر اللغة الانجليزية إحدى قلائد اللغات في التاريخ التي افترضت كلمات أجنبية على (نطاق واسع) لتكون بها ثروتها المعجمية ومن بين الأسباب الرئيسية التي تكمن وراء هذا الفيض من الكلمات المفترضة في اللغة الانجليزية عبر تاريخه الاحتكاك اللغوي Language contact المتمثل في قربها الجغرافي والسياسي والاقتصادي من مجتمعات تتكلم لغات مختلفة على مدى التاريخ، ومن بين هذه اللغات اللغة اللاتينية وفروعها مثل: الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والسكندنافية والكننتية، فضلاً عن لغات أوروبا حديثة مثل: الروسية والتشيكية والبولندية (...) وكذلك لغات الشرق الأقصى مثل: اللغة الهندية واللهجات الصينية ومثل اليابانية (...)، ولغات الشرق الأوسط، وخاصة اللغة العربية التي دخلت كلمات علمية كثيرة منها إلى اللغة الانجليزية من خلال لغات وسيطة أخرى كالفرنسية والايطالية والاسبانية.

- ولا يخفى أيضاً أن للغات العالم الجديد أي التي يتكلمها الهنود الحمر أثر في اللغة الانجليزية بعد اكتشاف العالم الجديد بسكانه من الهنود الحمر¹².

وقبل عرض ما يتعلق بخصائص البناء المعجمي لمعجم أكسفورد يقدم عرضاً موجزاً أو نبذة عن تاريخ المعجم الانجليزي تحمل ما سبق تمهيداً له.

نبذة عن تاريخ المعجم الانجليزي:

- مر المعجم الانجليزي بعامة في مراحل نموه عبر ثلاثة قرون قبل البدء في عمل معجم أكسفورد بمراحل ثلاث، طبقت فيها مبادئ ثلاثة مختلفة، حددت الهدف منه ومن معجمة اللغة.

- المرحلة الأولى: كان المعجميون الأمريكيون يصنعون المسارد Glossaries ليضمنوها الكلمات الصعبة غير المألوفة للرجل العادي.

ولقد اتسعت الدائرة التي تغطيها المسارد في القرن السابع عشر على أيدي معجميين مثل: جون بولكار Jhon Bullokar صاحب معجم English expositor (1616م) وهنري كوكرمان H. Cockerman صاحب معجم English Dictionary (1643م) و بلاونت صاحب المسرد Glossographia (1656م) وإدوار فيليبس صاحب معجم New word of wold (1658م)، حتى جاء معجميون مثل جون كيرسي Jhon Kersey صاحب معجم Dictionarium Anglo – Britanicum أو A General English Dictionary (1708م) ونathan Bailey صاحب معجم Dictionarium Britanicum أو More complete Universal English Dictionary (1730م) وأدخلا كلمات اللغة عامة في المعجم.

المرحلة الثانية: طبق فيها صموئيل جونسون (...) مبدأ آخر عندما أدخل الشواهد ليدل بها على وجود المادة المعجمية في اللغة. فضلا عن إلقاء الضوء على استعمالها المختلفة أما الكلمات الموجودة في اللغة ولم تدخل المعجم فكانت تنشر في ملاحق للمعاجم.

المرحلة الثالثة: طبق ريتشارد سون (1775.1885) مبدأ معجمة اللغة على أسس تاريخية، وذلك بسرد الشواهد التاريخية التي تعالج تطور المادة المعجمية عبر العصور، [ورغم ذلك إلا أنه] لم يثر اهتمام الرأي العام لأنه لم يكمل أوجه النقص [فيما سبقه] أو يملأ فراغ المعجم المرتقب¹³.

- عندئذ اتخذت الجمعية الفيولوجية البريطانية

The philological society of Great Britain قرارا في عام 1758 بتكوين لجنة لاعداد المعجم. وكان تطبيق المنهج التاريخي في صناعة المعاجم من أبرز سمات معجمة اللغة [الانجليزية] في القرن التاسع عشر، فلقد حرص معجميو ذلك القرن على تسجيل تاريخ استعمال الكلمة مذيلة بالشواهد التي تثبت تاريخ استعمالها وذلك تطبيقا لمعطيات علم اللغة التاريخي التي تم التوصل إليها على أيدي الرعيل الأول من علماء علم اللغة المحدثين مثل: راسك الدانماركي، وجريم الألماني واضع أسس الدراسات اللغوية الحديثة.

وجاء ريتشارد سون Richardson (1775، 1885) المعجمي الانجليزي ليجمع بين عبقرية جونسون وتطبيق المنهج التاريخي في معجمة اللغة، فصنع معجما نشره بعنوان " معجم جديد للغة الانجليزية New dictionary of the english language (1836) والمعجم لا يتضمن تعريف الكلمات فقط، و لكنه يعالج أيضا معاني الكلمة المختلفة وتطورها مع العناية بتسجيل تطور استعمالها في حقب تاريخ اللغة المتعاقبة وذلك بتسجيل الشواهد المؤرخة¹⁴،

ويعتبر هذا المعجم " البداية الحقيقية لمعجم أكسفورد التاريخي (...) وأهم سمات هذا المعجم:

- 1 - يغطي مجالات المفردات الانجليزية على نحو كامل مع تمييز الدلالات تمييزا لم تعرفه المعاجم من قبل.
- 2 - يعطي تأصيلا للمفردات بدقة (...) و يعطي الصيغة الأقدم في الانجليزية القديمة والوسيلة إذا كانت الكلمة أصيلة، كما يقدم الأصل اللاتيني أو اليوناني إن كانت الكلمة مأخوذة من هذه اللغة أو تلك.
- 3 - يعطي النطق الصحيح للكلمة.
- 4 - يقدم مع كل كلمة طائفة من الشواهد المأخوذة من النصوص أيضا للدلالات المختلفة لها، ويسجل تاريخ كل كلمة في ضوء النصوص، ويعطي رمزا للكلمات البائدة. وبالرغم من جده المعجم فإن الجمعية الفيلولوجية البريطانية لم تجد فيه، كما لم تجد في معجم جونسون من قبل، ذلك المعجم الذي يوفي اللغة الانجليزية قدرها ومن ثم شرعت في صنع معجم جديد استغرق العمل فيه أكثر من نصف قرن حيث بدأت فكرة تنفيذه في سنة 1858، ونشر في عام 1928، وصدر له ملحق في عام 1933 ذلك هو معجم أكسفورد، الذي لا تخلو مكتبة عامة أو جامعية في العالم من نسخة منه¹⁵.

- معجم أكسفورد في معجمة اللغة الانجليزية على أسس تاريخية:

- أخذت الجمعية الفيلولوجية The philological society of Great Britain على عاتقها جمع الكلمات التي لا توجد في معجمي جونسون و ريتشارد سون.

- فقدم دكتور ريتشارد تشيفنكس ترنس Dr. Richard Chevinix Trench (1807. 1886) عضو الجمعية في نوفمبر 1857 بحثا أكد فيه عدم وجود المعجم الذي يمد مستعمله بالشكل و بالمعاني التاريخية المطلوبة لكل كلمة. إن في عام 1857م اتخذت الجمعية قرارا بتكوين لجنة (وبعد بحوث ودراسات) اتخذت القرارات التالية:

1 - يعد معجم جديد بإشراف الجمعية الفيولوجية بدلا من عمل ملاحق للمعجم الموجودة فعلا.

2 - يوكل العمل إلى لجننتين:

- اللجنة الأولى: أدبية تاريخية.

- اللجنة الأخرى: ايتمولوجية أي تخصص في فقه اللغة المقارن .

و يكون القرار الأخير للجنة الأدبية التاريخية.

3 - تعبر الجمعية على شكرها للمتطوعين الذين بذلوا جهدا وعونا للجنة جمع المادة غير الموجودة في المعجم الأخرى، وترجو منهم الاستمرار (...) كما تدعو متطوعين جدد للاسهام في المشروع.

4 - تخول الجمعية (بعض الأعضاء) سلطة ابرام اتفاق (مع الناشرين).

5 - على الجمعية الفيولوجية أن تقدم كل عون لديها إلى اللجان لتمكنها من عمل معجم جديد باللغة الانجليزية¹⁶.

- وفي العام اللاحق 1858 قررت الجمعية الشروع في صنع مثل هذا المعجم الذي استغرق إعداداه أكثر من نصف قرن.

- و صدر سنة 1928 تحت عنوان: معجم انجليزي جديد على أسس تاريخية في عشرة أجزاء. A new English Dictionary on historical Principles in ten volumes.

- وأعيد إصداره سنة 1961 تحت عنوان: معجم أكسفورد للغة الانجليزية في اثني عشر جزءا The Oxford English Dictionary in twelve volumes
- كما صدر له ملحق من جزء واحد يحتوي على الكلمات والمعاني الجديدة التي دخلت اللغة الانجليزية بين سنة 1933 وسنة 1961. فضلا عن الإضافات والتنقيحات التي أُلحقت بالأجزاء الأصلية (...)، ولعل اهمية الملحق نشأت نتيجة للمدة التي استغرقها إعداد المعجم و نشره والتي تربي [تربي] على أكثر من نصف قرن نمت فيها اللغة الانجليزية، وتأثرت مفرداتها في خلاله وما طرأ من تغير عبر السنين التي استغرقها أصحابه في إعداداه وطبعه¹⁷.

- " والمعجم في إيجاز يغطي مفردات اللغة الانجليزية تغطية شاملة بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ اللغة، فهو يذكر مع كل كلمة معانيها عبر التاريخ موضحة بشواهد مؤرخة من سنة 1150 حتى صدور آخر طبعة في سنة 1971. هذا على جانب طرق هجاء كل كلمة عبر كل مرحلة من مراحلها التاريخية و معالجة كل كلمة ايتمولوجية على اسس علمية تاريخية سليمة، (...) ويذكر المعجم التفاصيل المسهبة عند صعود وهبوط معاني الكلمات واستعمال الطبقات الاجتماعية المختلفة لها. وهي أمور لم تجتمع لمعجم واحد من قبل ولا من بعد

قسم المادة إلى أربعة أقسام كبيرة:

- أولها لتمحيصها وعالج فيه هجاءها وصورها الشائعة واستعمالها الخاص (في العلوم والفنون)، والشائع واللهجي والأدبي والصورة الأولى الرئيسية منها مرتبة ترتيبا تاريخيا ومجموعها ومشتقاتها الرئيسية.
- وثانيها عالج فيه أصلها وتاريخها وعصرها وندرته ومنافستها وموتها وتغير نطقها وخطها بكلمات أخرى.
- وثالثها دلالاتها المختلفة مرتبة بحسب ترتيبها التاريخي.
- ورابعها الشواهد مع إعطائها أرقاماً هي أرقام الدلالات نفسها،¹⁸ وطبعاً هو عمل جماهيري وليس فردي أو مؤسستائي فقط.

أهداف المعجم:

- لمعجم أكسفورد أهداف منظورة و أخرى غير منظورة ومن بين أهدافه المنظورة أنه جمع كل كلمة وما يتصل بها من عبارات اصطلاحية Idions عرف أنها استعملت منذ القرن الثاني عشر ميلادي. وعالجها في ترتيب هجائي معالجة تاريخية شاملة، فضلاً عن سرد تطورها الدلالي semantic devlope ment، وأورد سلسلة من التعريفات لكل كلمة، مع ذكر تاريخ معانيها المختلفة الماضية التي تبين تطورها الدقيق وذلك باستخدام الشواهد التاريخية المناسبة، والمقتبسة من العصور التاريخية المتعاقبة، كما يسجل المعجم أيضاً نطقها البريطاني المتداول بالرموز الصوتية phonetic symboles.

- ولتحقيق كل ذلك قامت هيئة تحرير المعجم ومعها جيش كبير من القراء المتطوعين لجمع نحو خمسة ملايين شاهد اقتبست جميعها من السجلات الانجليزية وكتب الأدب الانجليزي لإقامة البرهان على وجود مواد المعجم وقد اشتمل المعجم منها على نحو 1.800.000 شاهد¹⁹.

- ومن بين أهداف المعجم غير المنظورة طريقة هيئة تحرير المعجم في جميع مفردات اللغة الانجليزية لمعجمتها، وما أحدثته من ثورة في صناعة المعاجم وسيظل نحو اللغة الانجليزية بفضل هذه الطريقة مدينا لمعجم أكسفورد الجديد على الدوام. فلم يترك المعجم وجها من أوجه اللغة الانجليزية إلا ألقى الضوء عليه.

- كما دعت اكتشافات المعجم ومعطياته إلى إعادة النظر فيلولوجيا في الكثير من القواعد والأحكام المتعلقة بالنصوص (...). وبالرغم من أنه يعالج الكلمات بالدرجة الأولى فهو كنز موسوعي يحتوي على الكثير من النفائس الكامنة لا في اللغة الانجليزية فحسب بل وفي اللغات المتصلة بها أيضاً، وينهل من فيضها الباحثون والمؤلفون والكتاب والأدباء [من أبناء اللغة الانجليزية ومن الأجانب على حد سواء].

ومن بين الأهداف غير المنظورة التي حققها المعجم أيضا، أن أصبح المنبع الذي كان ولا يزال تقتبس منه معاجم عديدة مختلفة الأحجام والأغراض، لنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- Shorter Oxford english dictionary.
- The Oxford dictionary of english Etymology.

[وغيرها] .

- فترة مصادر المادة اللغوية: لقد لجأ معجميو أكسفورد في محاولاتهم جمع مفردات اللغة من المؤلفات ذات الوثائق الانجليزية إلى تصنيف هذه المؤلفات والوثائق إلى ثلاث مجموعات يقع كل منها على التوالي فيما بين عامي 1250 و1526، وعامي 1526_ 1674، وعامي 1674 و1858م. أي الفترة فيما بين منتصف عصر اللغة الانجليزية الوسيطة حتى عام 1858. * (لم يحدد عام 1858 نهاية للفترة التالية إلا أنه العام الذي بدأ فيه مشروع المعجم، وغنى عن البيان أن الفترة الأخيرة ممتدة حتى الوقت الحاضر (هامش ص 95)²⁰

- و لقد أوضح معجميو أكسفورد أنفسهم أن اختيار السنوات التاريخية 1526، 1647²¹، 1674، خاصة، إنما يرجع على أن عام 1526 هو عام صدور أول طبعة من الانجيل (العهد الجديد: New testament)، الذي لا يقل أثرا في تطور اللغة الانجليزية عن الإنجيل الذي أوصى بترجمته إلى اللغة الانجليزية الملك جيمس الأول، وصدر في عام 1611م تحت عنوان: Authorized version أي " ترجمة الكتاب المقدس المرخص بها من قبل الملك جيمس الأول " .

أما عام 1674 فهو عام وفاة الشاعر السياسي العظيم ميلتون (...). ذو الأثر البالغ في تطور اللغة الانجليزية (...). إذ إن لميلتون آراء خاصة في الهجاء و كثيرا ما أجرى عليه التجارب في أشعاره لأغراض جمالية تتعلق بإلقاء الشعر، ويعتبر مميلتون نفسه دارسا للغة الانجليزية وممارسا عاما لها ، ثم إنه أضاف عددا من الكلمات والتعبيرات إلى حصيلة اللغة الأدبية وإلى لغة الحديث²².

- وفي إطار هذه الحدود التاريخية يعالج معجم أكسفورد كل الكلمات المتداولة في الحديث أو الأدب أو مافي مستواهما معا من مفردات، ولقد اتسعت دائرة هذه المفردات لتشمل مفردات العلوم الفلسفية، فضلا عن مفردات العامية الفئوية أو المفردات الحرفية التي تتصل بالعامية (colloquial) وفيما يختص بميدان المصطلحات العلمية والتقنية، ويؤكد نلسون فرانسيس: W. Francis Nelson, the english language, An introduction. Rackground for writing. 1965. p 89. أن ظاهرة المصطلحات الحديثة المشتركة التي تميزت بها الأزمنة الحديثة هي إحدى نتائج الثورة المعاصرة في جميع ميادين المعرفة وخاصة

في ميداني العلوم والتكنولوجيا، ولقد كان لهذه الثورة ومازال أثر عميق في جميع لغات العالم المتحضر، لا في اللغة الانجليزية فحسب، وكان من نتائجها تكوين ثروة عظيمة من المفردات العلمية والمشاركة بين كثير من اللغات حيث تظهر فيها نفس المصطلحات مع تعديل طفيف في الهجاء والنطق²³.

- ويعني المعجم باستعمال المختصرات المناسبة للإشارة إلى عمليات

الاشتقاق التاريخية المختلفة مثل الإشارة (-) للإشارة إلى السلسلة الصوتية ومثل (a) للإشارة إلى التبني adaptation، [وغيرها]، ليقف القارئ على حقيقة اشتقاق الكلمة عبر تاريخها الطويل²⁴.

- ولقد حرص المعجم على " تسجيل نطق الكلمة السائد " لأنه غاية في الأهمية بالنسبة لأي معجم تاريخي يعالج اللغة على أساس تاريخي، ولا شك أن أصوات اللغة الانجليزية قد تعرضت لتغيرات كثيرة ومطرده على مدى تاريخها الطويل منذ اللغة التوتونية ثم الانجليزية القديمة ثم الوسيطة فالحدثة²⁵.

رحلة المعجم قبل أن يظهر للوجود: تراوحت مهمة الإعداد للمعجم بين أعضاء

الجمعية الفيلولوجية الأصليين و الجدد.

1 - " في نوفمبر سنة 1859 قدم كوليريدج H. Coleridge (1830 - 1910م) الذي عين محرراً تقريراً إلى الجمعية عن سير العمل في المعجم، وقد انهمك كوليريدج في جمع قائمة مفردات من بين المفردات التي يرسلها له المتطوعون إلى جانب المفردات القديمة الموجودة فعلاً في المعجم.²⁶

2 - انتقلت مهمة تحرير المعجم بعد وفاة كوليريدج إلى فورنيفال Frederick

James Furnival (1835 - 1910).

مهمة أخرى قام بها فورنيفال وهي جمع قائمة الكتب التي تمت قراءتها والتي كانت تقرأ آنذاك (12 يوليو 1861) لخدمة المعجم الجديد. (...) وقدم فورنيفال الاقتراحات التالية للجمعية التي أقرتها:

1 - أن يعد المعجم المختصر خطوة تمهيدية للمعجم الجديد الكبير الذي تقترحه الجمعية كأساس جديد لمقارنة الفترات الثلاثة بعضها ببعض، مما يحتم دراسة كل مادة على حدى في الفترات الثلاث.

2 - أن يكون المعجم المختصر بقدر المستطاع ملخصاً كما يجب أن يكون عليه المعجم الكبير، ويجب أن يحتوي على: النطق وعلاماته المميزة الأيتومولوجيا، والجذور والسوابق واللواحق (اللواحق Affixes) وتعريف الكلمات والكلمات المتجانسة (Homonyms) وشواهد قصيرة مسجل معها تاريخ كتابتها واسم المؤلف (...). أما الكلمات ومعاني الكلمات والعبارات الاصطلاحية Idions الموجودة في اللغة ولم يرسل المتطوعون البرهان على وجودها (...) فيجب

الحصول على برهان وجودها في اللغة من أي مصدر متاح، هذا ويجب وضع علامة مميزة على مثل هذه الكلمات.

- كان من الواضح أن هذا العمل يتطلب سنوات طويلة وجهداً جهيدا لإنجازه فقد رأى فورنيفال عمل معجم مختصر كبداية للمعجم الكبير²⁷.

3 - وبحلول سنة 1872 تباطأ العمل في المعجم لانشغال فورنيفال بأمر أخرى مما جعل رئيس الجمعية يقترح إحلال هنري سويفت H. Swift محل فورنيفال²⁸.

4 - وقبل أن يستعيد المعجم مكانته مرة أخرى في إطار نشاطات الجمعية الفيلولوجية حدث شيء هام أثر في مجرى تاريخه، ففي أبريل 1876 عرضت شركة ماكملان للطباعة والنشر على مستر موري J. A. H. Murrary وهو مدرس أسهم بنصيب وافر في الدراسات اللغوية عمل معجم جديد ينافس معجم وبستر Webster الأمريكي ومعجم وورستر الأمريكي أيضا (...)، وكانت شركة ماكميلان للنشر على علم بمشروع الجمعية الفيلولوجية البريطانية، وبما وصلت إليه الأمور في مشروعها واستفسرت منها على إمكانية الحصول على المادة التي تم جمعها وحصلت شركة ماكميلان على جزء من المادة المجموعة، وأعد مستر موري عينات منها لتكون لما يجب أن يكون عليه المعجم، وتم طبع هذه العينات ودارت المناقشات وخاصة حول المادة المعجمية التي تمتلكها الجمعية الفيلولوجية وانتهت المفاوضات بينهما إلى لا شيء.

5 - أثارت المادة التي أعدها مستر موري اهتمام الجمعية مرة أخرى بمشروعها القديم وفي مايو سنة 1877، بدأ المشروع يتحرك من جديد، وبدأت الجمعية في جمع المادة التي كانت في حوزة مساعدي المحرر فورنيفال الذين انتشروا في إنجلترا وخارجها بدوافع حياتية خاصة، وأخيرا تم الاتفاق مع شركة كلارندون في أكسفورد على طبع ونشر المعجم، وكان من بين الشروط المتفق عليها تعيين مستر موري رئيسا للتحريير²⁹.

- لم تكن الأرض ممهدة أمام موري كرئيس تحرير، إذ واجهته صعوبات كثيرة (...) وكان عليه أن يمضي شهورا طويلة في تقليب وفحص وتصنيف واستعمال الأوراق التي تحتوي على مادة المعجم والتي بلغ وزنها نحو طن ونصف طن.

- ووجد كلمات كثيرة ناقصة منها³⁰. فعمل على إضافتها وسط الفراغات بسرعة ولحاجة العمل على مزيد من المتطوعين وجه نداء إلى ألف متطوع جديد من المتكلمين باللغة الانجليزية لقراءة كتب واستخراج شواهد منها، وجاء النداء في أربع صفحات، صفحتان منها تلخيص لتاريخ المعجم من 1857 حتى سنة 1879، وفي الصفحة الثالثة شرح لنوع القراءة المطلوبة، وفي الصفحة الرابعة نداء موجه على

ألف قارئ متطوع لتكملة المعجم في ثلاث سنوات، وبالإضافة إلى هذه الصفحات الأربع صفحات أخرى بها أسماء الكتب المطلوب قراءتها، وبعض التعليمات التي يجب على القراء اتباعها (...). وصدرت التعليمات والإرشادات للقراء المتطوعين في عامي 1858 - 1879 لتوحيد منهج جمع الشواهد واستقر الرأي على الآتي:

1 - يكتب كل شاهد على بطاقة منفصلة ذات حجم معين، ولتسهيل عملية الفرز تكتب الشواهد المقتبسة من مؤلفات وكتابات كل فترة تاريخية من الفترات الثلاث كل على حده.

2 - تدون في كل بطاقة البيانات التالية على النحو التالي:

أ - تكتب الكلمة المنتقاة في الركن الأيسر العلوي.

ب - يكتب تاريخ إصدار الكتاب، ثم اسم المؤلف، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والسطر بالترتيب المذكور.

ج - يكتب الشاهد نفسه إما كلاماً أو في شكل مناسب.

وفيما يلي شكل البطاقة مترجماً إلى العربية:

السطر، رقم الصفحة، عنوان الكتاب.
تاريخ الكلمة، إصدار الكتاب الشاهد.

[بالإضافة إلى تعليمات أخرى ³¹]

وإن ما يدعو إلى الإعجاب حقاً مجهودات المتطوعين من القراء الذين بلغوا الثمانمائة عدا في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، والذين أسهموا بدافع حبهم للغتهم في جمع مواد المعجم والشواهد الدالة على وجودها واستعمالاتها المختلفة في حقب التاريخ المتعاقبة وتسجيلها على بطاقات موحدة الشكل والبيانات (...).

ولا شك أن مجهوداتهم وفرت الوقت والمال وعجلت من إصدار المعجم ³².

المستويات اللغوية للمادة المعجمية: وضع موري في مقدمة المعجم رسماً تخطيطياً Diagram على هيئة بيضاوي بداخله اللغة المتداولة ³³.

اللغة الفصحى

Literary

اللغة المشتركة

اللغة الأجنبية

اللغة العلمية

common	language	Scientific
	اللغة العامية	اللهجات
		اللغة التكنية
colloquial		Dialectal
		Technical
	لغة فنوية	

Slang

- ينظر موري إلى اللغة ككل متكامل، ويحب أن يحتوي المعجم بين غلافه مفرداتها على مستوياتها الثقافية المختلفة وبجميع أشكالها الوظيفية³⁴.

وسجل المعجم معاني الكلمة المختلفة مرتبة ترتيبا مرقما ومسلسلا ضمن تاريخ حدوثها في اللغة (...). وكما كان تطور المعاني غالبا ما يسير في خطوط متفرعة وأحيانا متوازية فإنه من الواضح صعوبة وضع المعاني كلها في خط واحد على التعاقب³⁵.

- وجدير بالذكر أن معاني الكلمات الموجودة في معجم جونسون نقلت كما هي إلى معجم أكسفورد (...). ولتمييز هذه المعاني الجديدة وضعت بين قوسين مصحوبة بالحرف الأول من اسم صاحب المعجم الذي وردت فيه وحدث نفس الشيء لمعاني معجم ن. بايلي N. Baily وغيره من المعجميين الأول ممن أصبحت أعمالهم ملكية عامة لمن جاءوا بعدهم³⁶. ومما ساعد على الإسراع في إعداد المعجم انضمام مجموعة كبيرة من العلماء إلى مجموعة المحررين (فأصبح للمعجم أربعة رؤساء تحرير لكل منهم هيئة تحرير خاصة تعمل تحت إشرافه³⁷).

- كانت الأجزاء المبتكرة من المعجم تطبع وتنتشر وتباع (...). وتغير اسم المعجم من " معجم أكسفورد الجديد للغة الانجليزية " إلى " معجم أكسفورد للغة الانجليزية

The Oxford English dictionary

- استغرق نشر المعجم نحو خمسة وسبعين عاما، وكان ذلك يعني أن الأجزاء الأولى تنقصها كلمات جديدة ومعان جديدة، مما أدى إلى طبع ملحق للمعجم صدر سنة 1933م³⁸.

تقييم المعجم: قصارى القول إن الهدف من معجم أكسفورد يختلف كل الاختلاف عن أي غرض يرمي إليه أي معجم آخر في اللغة الإنجليزية، فالمعجم ينقضى تاريخ حياة الكلمة في اللغة الإنجليزية واللغات المتصلة بها ليسجل تاريخ دخول الكلمة لغة الكلام إذا لم توجد في سجلات اللغة الانجليزية القديمة التي تعرف

باسم الانجلوسكسون. وليبين نمو كل معنى من معاني الكلمة و صلاتها التاريخية بمعانيها الأخرى، وفي حالة المعاني أو الكلمات المماتة يوضح المعجم آخر حدوث لها يمكن العثور عليه موضحا بشواهد (...). ومن بين الملامح المميزة أيضا لمعجم أكسفورد طرق الهجاء المختلفة للكلمة عبر القرون منذ أول مرة ظهرت فيها اللغة الانجليزية³⁹.

خاتمة: هذه حكاية المعجم التاريخي الإنجليزي قد قدمتها لكم، لا لهدف سوى استغلال ما يمكن استغلاله من هذه التجربة العظيمة، وهكذا يبقى المعجم التاريخي للغة العربية حلما لم يتحقق حتى الآن، ولعلّ العذر الوحيد في ذلك أن مثل هذا المعجم للغة العربية يختلف عن عمل أي معجم تاريخي لأي لغة أخرى لأن اللغات الأوروبية التي ظهرت بها معاجم تاريخية لغات صغيرة السن حديثة الميلاد، أما اللغة العربية فمن أطول اللغات الإنسانية عمرا تقلبت فيها بين ظروف شتى تاريخية وجغرافية وحضارية ودينية وعلمية وفكرية وأدبية وغيرها⁴⁰، ونستطيع أن نقبل هذا العذر، ولكن يمكننا العمل على وضع معاجم تاريخية مرحلية تحقق العربية في عصورها المختلفة، كل عصر على حدى، على الأقل تلك العصور التي تركت لنا تاليفا لغويا غير محدود بداية من القرن الأول هجري، وبل العصر الجاهلي الذي وصلنا منه كمّ معتبر من اللغة المستعملة الموثقة في الشعر والنثر العربيين القديمين. فيكون الناتج عنها معاجم عصر معين.

ويضاف إلى هذا العمل عمل آخر على قدم المساواة مع السابق وهو عمل معاجم للمستويات الاستعمالية اللغوية المختلفة (فصيح، عامي، دخيل، معرّب...) فيكون الناتج معاجم مادة معينة.

ومجموع العملين يحقق لنا شيئا فشيئا المعجم الكامل والتاريخي للغة العربية.

قائمة المراجع المعتمدة:

- 1- بن مراد إبراهيم، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ط1.
- 2- عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003.
- 3- مدكور إبراهيم، بحوث وباحثون، الكتاب الأول، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، القاهرة، 1963، دط.
- 4- السيد داوود حلمي، المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر، دراسة في منهج معجمة اللغة الإنجليزية، الكويت، 1978، ط1.
- 5- نصار حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر 1998، ط4، ج1-ج2.
- 6- حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية، بيروت، 1998، ط1.

7- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ع100، 2003، [دمشق، المجلد60]، ع98، ج3، 1994، دط.

- 1 - إبراهيم مذكور، بحوث و باحثون، ص 200.
- 2 - حسين نصار، المعجم العربي، ج 2، ص 587، نقلا عن مقدمة فيشر، ص 26 .27
- 3 - حسين نصار، المعجم العربي، ج 2، ص 625.
- 4 - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 317.
- 5 - حسين نصار المعجم العربي، ج 2، ص 589، 590.
- 6 - حلمي خليل، دراسات في اللغة و المعاجم، ص 422.
- 7 - مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة، ع 98، عبد الرحمان حاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص 96.
- 8 - مجلة المجمع، ع 98، عبد الرحمان حاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص 97.
- 9 - إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص 199، 200، نقلا عن Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes , R. Dosé .k Amsterdam, 1845, ppv , vi
- 10 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي والحاضر. دراسة في منهج معجزة اللغة الانجليزية، ص 239، 240.
- 11 - السابق. ص 109 و ما بعدها.
- 12 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. 121. 122.
- 13 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر.. ص 91. 92.
- 14 - السابق، ص 84.
- 15 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 28.
- 16 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 92. 93.
- 17 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. 84.
- 18 - حسين نصار، ج 2، ص 616 (بتصرف)
- 19 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 88. 89.
- 20 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 94. 95.
- 21 - الصحيح 1674. ورد خطأ من المؤلف.
- 22 - السابق ص 134، نقلا عن : Wrenn. C. L. the english language. Methven & co. London. 1970
- 23 داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 139، نقلا عن: W. Francis Nelson , the english language , An introduction. Rackground .for writing. 1965. p 89

-
- 24 - السابق. ص 139.
- 25 - السابق، ص 150. النطق هو الشكل الحي و العظلي actual form للكلمة أي هو الكلمة نفسها.
- الهجاء السائد هو مجرد رمز كتابي لها (السابق. ص 150)
- 26 - السابق. ص 96، 97.
- 27 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر.. ص 98، 99.
- 28 - السابق. ص 100.
- 29 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر . ص 100 - 102.
- 30 - السابق. ص 101 - 102 بتصريف.
- 31 - ينظر التفاصيل : ص 102 و ما بعدها.
- 32 - المعجم الإنجليزي، ص 152.
- 33 - السابق. ص 112.
- 34 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 120.
- 35 - السابق، ص 143.
- 36 - السابق، ص 144.
- 37 - السابق، ص 105. (بتصريف)
- 38 - داود حلمي السيد، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر. ص 107، 108.
- 39 - السابق، ص 151.
- 40 - دراسات في اللّغة والمعاجم، ص 426.